قصــة الـثــورة كــامـلـة

بقـلـم الرئـيـس
أنـــور الـــســـادات

www.anwarsadat.org

مقدمة

بقلم أنور السادات

كنت أكتب وأروى للشعب قصة ثورتنا، وفى كل مرة كنت أسرد للشعب- وليس لغيره- حقيقة واحدة وهي أن الثورة لم تقم إلا من أجل شئ واحد... من أجل أن يحكم الشعب نفسه بنفسه.

ورويت للشعب كل الحقائق... قلت إن الثورة ألغت الأحزاب، وأسقطت الدستور، لأنها ثورة وليست انقلاباً ثورة تستهدف إقامة نظام ديمقراطي صحيح، لا نظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه ومضيت في حلقات عديدة أروى للناس فى مصر وباقي الوطن العربي حكايتنا.

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم قام الجيش ليضرب ضربته، وكان العرض من "فاروق" الملك السابق... يطلب منا فيه تأليف الوزارة فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة.

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية، تلك الفكرة التى كان السيد "سليمان حافظ" يدعونا إلى تنفيذها فى كثير من الأحيان كانت أهدافنا- إذن واضحة ومحددة وأصررنا عليها ولم نتراجع... وتلك الأهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان، هى إقامة نظام ديمقراطي سليم مستمد من حاجات الشعب، ونابع من مصالحه... لا من حاجات الإقطاع والمستغلين والأرستقراطية العربية التى تريد أن تعيش عالة على الناس وجهدهم.

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التي تراها فى الصفحات الآتية، عن العقبات التى صادفناها، وعن المؤامرات... وعن الذين وقفوا فى الطريق، ليعطلوا زحف الثورة العربية فى مصر، وكيف أننا كنا قد قررنا أن يكون الزحف أبيض، وأن يكون بلا دم: حتى إذا اعترض الزحف قاطع طريق، كان حتماً إذن أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية... فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين العرب الذين في الأغلال.

وفى الطريق مضينا والتقينا بكثيرين من الأعداء...الرجعية المتربصة بالبلاد... الأحزاب قامت فى كنف النظام الملكى الإقطاعي وفى حماية قوات الاحتلال...

والتقينا بالخونة والعملاء.. وبالانتهازيين وفلول النظام الذى أسقط.. كنا نريد أن ينتهى الزحف الأبيض على الأعداء فى ساعة واحدة، لا فى ثلاث سنوات.

لكن المسألة لم تكن فى يدنا.. فقررنا أن يستمر الزحف مهما كانت العقبات.. فنحن نعرف ما نريد، لم نكن نريد إلا إقامة النظم الديمقراطى.. لا العسكرى كما قال المزيفون.

ولقد حددت الثورة موقفها، ولم يعد أمام الشعب إلا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه.

إن التاريخ اليوم يسجل الانتصار الأكبر للثورة العربية فى مصر لم يعد أمام الشعب إلا أن يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على أعدائه، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية.

إن آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد, وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخاً، يحفظه الشعب بعد انطلاقه فلا جوع، ولا عرى, ولا ضياع فى كنف الحرية, والشعب اليوم قد حصل عليها.

إن الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكاناً فى ظله, والمجتمع سوف يصبح اشتراكياً, لا تفصل بين طبقاته أسوار عالية رهيبة, ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه إله ينحنى أمامه العبيد.

إن الحزبية كانت تصنع هذا كله... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الأحزاب, إلا الوعود ثم الخديعة.

أما اليوم.. فالبلاد بلادهم يملكون كل شئ فيها, بعد أن مهدت أمامهم الثورة الطريق.. وأزالت منه الصخور والأشواك.

كنا نقول دائماً للمزيفين: نحن لسنا صناع استبداد, فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعنى ما نقول, وكنا قد حددناها ليس من أجل البطش بالشعب فتلك ليست صناعتنا... بل أوجدناها للقضاء على الزيف, على التركة العفنة التى خلفها لنا نظامهم الباطش, القائم على أعمدة الاستعمار والإقطاع والاستغلال الأرستقراطية المتعالية.

وكانت حتماً على الثورة أن تقوض أركان ذلك النظام, قبل أن تفتح الأبواب أمام الشعب لينطلق نحو مستقبله, كان حتماً على الثورة أن تحدد فترة للانتقال... يتم خلالها تطهير

الأرض من الأردن, فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمناً لا تحوطه مؤامرة أو تتربص به الخديعة.

إن التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والإرهاق والضياع, يطويها ليفتح صفحات أخرى, يسجل فيها بدء حياة جديدة لشعب منتصر, متحرر, كريم, أراد أعداء الإنسانية وقف زحفه فهزموا... وتشتتوا... واجتاحهم الطوفان الكبير!

لا حزبية...

فالشعب هو الحزب الكبير...

لا زعامات مصنوعة...

لا زيف ولا باطل...

بل مجتمع اشتراكى متحرر وحكم قومى لا يشوبه طغيان قلنا هذا الكلام مرات عديدة... قلناه تحت هذا العنوان الجليل لكن المزيفون كانوا دائماً يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من أعماق الشعب.

واليوم.. ماذا سيقول المزيفون, بعد أن أصبحت البلاد ملكاً خالصاً لأبنائها... لكل الأبناء؟!

ماذا سيقول المزيفون... والشعب منطلق... والشعب منتصر؟!

إن الرئيس المعلم "جمال عبد الناصر" قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار...

صيحة تحمل الأمل الكبير المضىء للشعب, النذير لأعدائه...

فمن أراد أن يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة...

من أراد الحياة التى تمجد الإنسان وتخدم إرادته وعمله وكفاحه...

من أراد الحرية والعدل والحق...

من أراد الشرف والعمل الكريم والأمن والرخاء...

من أراد أن يمضى فى طريق لا يعترضه فيه باطش أو مستغل أو مستبد...

من أراد أن يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية...

من أراد أن يرفع رأسه بين العباد...

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلوا شاكرين لله القادر العادل على رعايته التى حمت الثورة العربية المصرية حتى أتمت زحفها الكبير...

أنور السادات

www.anwarsadat.org

الفصل الأول

ما هى السياسة

وما هى الديمقراطية

www.anwarsadat.org

ما هى السياسة ؟

هل هى علم يدرس, مثل الميكانيكا, أو مثل الطب والكهرباء, فينبع الأذكياء ويتبحر فيها ذوو المواهب, ويمارسها أصحاب الكفاءات ويعرف أسرارها خريجو المعاهد التى تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والكهرباء؟..

ولكى نناقش المسألة ببساطة أكثر أقول: هل السياسة مهنة أو حرفة يمارسها المرء, مثلما يمارس أى عمل آخر, تخصص فيه وفهم قواعده؟

إذا قال لك أحدهم: إن فلاناً هذا سياسى داهية ؟ وألمعى لا يشق له غبار, فلا تستمع على الإطلاق لهذا الكلام, لأن السياسة ليست حرفة يجيدها إنسان ويصبح عالماً بخباياها، بينما يفشل فيها آخر!

صحيح أنه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيها السياسة وعلوم السياسة, لكن تلك المعاهد لا يتخرج فيها ساسة على الإطلاق... بل يتخرج فيها موظفون يحدد لهم العمل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتاً لا يتغير, بينما العالم من حولهم يدبر شئونه ويغير من نظمه.

الساسة الحقيقيون:

فمن هم الساسة الحقيقيون ؟

إنهم الشعب....!

فالسياسة هى الحاجة... والشعور بالحاجة هو الذى يدفع المرء إلى الكفاح من أجل تحقيق حاجاته.. فهنا تصبح المسألة سياسة!

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنها أن تحدد حاجات الناس... الذى يحدد هذه الحاجات هم أصحاب الحق فيها!

وعندما يقود أحد أبناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية مثلاً وينجح فى قيادته تلك, ويحقق الانتصار دوماً فليس معنى هذا أن ذلك الزعيم سياسى لا يشق له غبار, وعالم متبحر أزرق الناب, معنى هذا أن هذا القائد يعرف حاجات الشعب الذى يقوده، ويعرف مصالحه ويعرف أعداء هذا الشعب الذين يقفون فى طريقه.

ومعرفة الحاجات والمصالح والأعداء لا تحتاج إلى دراسة فى معهد أو دبلـوم مـن الجامعات... بل تحتاج فقط إلى العيش وسط المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومى من أجل الرزق.. أى يجب أن يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل أغلبية هذا الشعب, وتمثل حاجات ومصالح وأهداف هذه الغالبية التى عاش بينها ومـارس معهـا الكفـاح اليـومى... فـشعر بمشاعرهم, وفهم أهدافهم, وآمن بها لأنها هى نفسها حياته هو...!

فإذا أراد تحقيق هذه الحاجات, وسعى إلى تلك الأهداف ومضى حتى النهاية فى هـذا الطريق فهنا... وهنا فقط يقال: إن فلانا هذا.. سياسى...! أى أنه يعمل من أجل الشعب...

السياسة هى الشعور بالحاجة:

السياسة- إذن- هى الشعور بالحاجة, وممارستها لا تكون بتلقى العلـوم عنهـا فـى المعاهد والجامعات, بل تكون بالرغبة والإصرار والنضال من أجل تحقيق حاجات النـاس... أى الثورة...!

فقبل 23 يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم إنهـم زرق الأنيـاب وساسة دهاه تلقوا علوم السياسة فى جامعات أوربا ومعاهد لندن وبالرغم من هذا لم يـستطع هؤلاء أن يصنعوا شيئاً واحداً... هو العمل جنباً إلى جنب مع أعداء البلاد...!

فهم- إذن- كانوا خونة زرق الأنياب وليسوا هو لم يشعروا بحاجات الـشعب، ولـم يؤمنوا بالشعب...!

هل عرفت ما هى السياسة....؟!

إنها الحاجة...

فإذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى النهاية فأنـت سياسـى... أزرق الناب, ولا يشق لك غبار!

ما هى الديمقراطية ؟

أغلق على نفسك الباب, وانفرد بنفسك دقائق قليلة، ثم وجه إليها هذا السؤال: ما هـى الديمقراطية ؟!

لكن قبل أن تفعل ذلك نود أن نعرف من أنت ؟!

فربما كنت فى تلك الفئة التى لا تعنيها الديمقراطية على الإطلاق، بل الذى يعنيها هو تغليب مصالحها على مصالح أغلبية الشعب...

بصراحة يجب أن لا تكون إقطاعياً.. أو من حملة الرتب... باشا... مثلاً...

ويجب ألا تكون من حكام أسرة "محمد على"... والإنجليز.

ويجب ألا تكون منتمياً إلى الفئة التى استفادت من وجود الاحتلال, ومن وجود الباشوات ومن وجود الرجعية... أعنى أعداء التطور!

وأخيراً لكى تجيب على هذا السؤال إجابة صحيحة دون أن تخطئ أو تتجنى, عليك أن تكون أحد أفراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضى... أى تمثل غالبية الشعب.

بعد ذلك حاول أن تجيب عن السؤال... ما هى الديمقراطية ؟!

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد عملاً...

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد علاجاً...

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الفلاح المريض الكادح المعروق...

الديمقراطية بالنسبة لك أيها العامل المتطلع إلى الضمانات والمكافأة المجزية ؟!

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الموظف صاحب الأسرة, وصاحب الآمال العديدة فى التعليم والصحة والأمن...؟!

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التى استغلت, لمصلحة أفراد قلائل عاشوا فوق أرضنا خونة ومترفين وخاملين ومخادعين...!

أجل... ما هى الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب...؟

هل أجيب أنا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة أيها العامل, وأنت يا فلاح، ويا طالب الحق المسلوب ؟!

الديمقراطية بالنسبة لكم هى تحقيق مصالحكم، لا مصالح الأقلية..

الديمقراطية هى انتزاع الحقوق المسلوبة, واسترداد الأرض من غاصبيها...!

www.anwarsadat.org

الديمقراطية هى التخلص من القيود, تلك كانت فى رقابنا, وحول أذرعنا وعقولنا أيضاً...!

الديمقراطية هى استقلال الوطن, وسيادة الأمة, والمساواة، والعدل, هى تقرير المصير...!

وفى اللحظة التى قامت فيها ثورة 23 يوليو, كانت الديمقراطية هى الطريق, طريق هذه الثورة الذى اتجهت إليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وإيمان..

لأنها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة، بل هى نفس الثورة العربية- المصرية- التى قامت من قديم, وهدفها التخلص من أعداء الشعب وإقرار الحق والعدل والمساواة, وسيادة الأمة.

نحو الديمقراطية:

من أجل هذا مضت الثورة العربية فى مصر بعد انتصارها فى 23 يوليو بخروج الجيش إلى المعركة... جنباً إلى جنب مع الشعب.

أقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد.

وكان عليها لكى تحقق هذه الديمقراطية, ولكى تعلن الدستور المتضمن نصوصها وأسسها جميعاً، أن تتخلص أولاً من أعداء الديمقراطية أى أعداء الدستور، وهم أعداء الشعب...

وكان العدو الأول هو الملك.. بل هى الأسرة التى كانت تحكم...

وانتصرت الثورة على العدو الأول... وبهذا أرست الثورة أولى قواعد الديمقراطية...

ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثانى للثورة... بل للديمقراطية، أما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الإصلاح الزراعي... وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى سيسود البلاد, بعد فترة الانتقال وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته وازدهاره...

ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى إلا إيماناً بالديمقراطية، والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر العربية.. ذلك لأن الحلف العسكرى

كان سيجعل الشعب وأرض الشعب وموارد الشعب فى خدمة مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها...!

وفى ظل الحلف العسكرى المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة, والديمقراطية من المحال إرساء قواعدها وتحقيق مضمونها, إلى فى الدول التى لا تخضع لسيطرة أجنبية, أو لتوجيه من خارج حدودها...!

إصرار الثورة إذن بل موقفها من الحلف العسكرى، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال، وبالتالى حماية مصالح الشعب...

ويوم أن أعلن الرئيس المعلم "جمال عبد الناصر" عن صفقة الأسلحة المشهورة، لم يكن ذلك يعنى أن جيش مصر العربى قد زاد عتاده، أو أن جيش مصر العربى قد أصبح أقوى الجيوش... بل كان معنى ذلك أن "جمال عبد الناصر" يعد البلاد للحكم الديمقراطى على أسس متينة قوية...

لقد واجهت الثورة مشكلة تسليح جيش الشعب بعزم مستمد من إرادة هذا الشعب ومن وحى أهدافه.

طلبت الثورة السلاح لجيشها من أمريكا ومن إنجلترا, ومن فرنسا ومن كل مكان، ورفضت أمريكا وساومت وترددت إنجلترا, ثم أعطت وعوداً لا حصر لها...

وفى نفس الوقت أعطوا إسرائيل ما تريده من سلاح...!

كان السلاح هو "الكارت" الأخير فى يد الدول الكبرى, للضغط على مصر, ومحاولة السيطرة عليها والتمكين لنفوذهم فيها.

ومعنى ذلك أن مصر كانت ستخضع للسيطرة الأجنبية, ثم التدخل والتوجيه من الخارج. وبهذا يصبح من المحال أن تحقق الثورة العربية فى مصر هدفها... وهو الديمقراطية الصحيحة.

ويوم قرر القائد المعلم "جمال عبد الناصر" أن يحرق هذا "الكارت" الذى تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا ويوم أن قرر شراء السلاح بدون قيد ولا شرط, من الدول التى قبلت بيع كل ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط... بلا بعثات عسكرية ووثيقة أمن متبادل, وخضوع لما تمليه مصالح الأجانب، فى هذا اليوم سجل التاريخ "لجمال عبد الناصر"

خطوة أخرى كبيرة فى الطريق الذى يسلكه لإرساء قواعد الديمقراطية فى بلاده! لقد كان معنى عدم تسليح الجيش والوقوف إزاء مناورات الدول الكبرى موقفاً سلبياً هو أن الثورة العربية فى مصر لن تجد السلاح الذى تحمى به أهدافها... ثم حدودها التى تتاخم حدود أعداء اعتدنا منهم الغدر والضعة والأطماع!

صفقة الأسلحة إذن، التى عقدتها مصر بلا قيد ولا شرط مع دول أخرى لم تناور ولم تحاور, حطمت بها الثورة التدخل الأجنبى والسيطرة الأجنبية والمناورات كلها فى وقت واحد وبضربة واحدة... ومعنى ذلك هو أن الثورة العربية تمضى فى طريق الديمقراطية... وإلا فكيف كانت الديمقراطية ستجد أرضاً تنبت فيها وتزدهر, وهذه الأرض لا تحميها قوة تفوق قوة الأعداء المتربصين بهذه الأرض... والطامعين فى السيطرة عليها...!

وبعد هذا... بعد القضاء على أسرة "محمد على" وبعد جلاء القوات المحتلة وبعد القضاء على الإقطاع, وبعد إبعاد السيطرة الأجنبية برفض الحلف العسكرى, وبعد حرق "الكارت" الأخير فى أيدى الدول الكبرى للضغط علينا بعد صفقة الأسلحة وبعد أن أصبح لمصر العربية جيشها الوطنى القوى الذى سيحمى الحدود والأهداف... وثورة الشعب, أعلن "جمال عبد العناصر" الدستور الجديد للجمهورية العربية المصرية...

لا ديكتاتورية

لا ديكتاتورية إذن ولا تحكم فرد, ولا سيطرة لطبقة على طبقات ولا مصلحة إلا مصلحة الشعب...!

إن الخطوات التى تمت خلال أعوام الانتقال لم تكن لتمهد على الإطلاق إلا لشىء واحد... هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء! وإلا فما معنى أن تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحو التقدم والتحرر؟!

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والأجانب والخونة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب؟!

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق؟

أم لكى يفسح الطريق للسيطرة الأجنبية والتدخل فى شئون الشعب...

إنها خطوات تمت للتخلص من كل هذا, والقضاء على كل هذا...

لأن الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب...

هل عرفت إذن ما هى الديمقراطية ؟!.. أنت أيها العامل ويا فـــلاح, ويـــا صـــاحب الحاجة, ويا طالب الرزق والعلم والصحة والأمن ؟!

افتح إذن الباب واخرج إلى الطريق, فلن يقطع عليك الطريق عدو من هؤلاء الـــذين بطشوا بك فى الماضى...

لا سبيل أمام الأعداء للبطش بك أو بحقوقك فى كنف النظام الجمهورى الديمقراطى!

www.anwarsadat.org

الـفـصــل الـثـانــى

الــثــورة والــديــمــقراطــية

www.anwarsadat.org

الديمقراطية المظلومة:

عاصرت كما عاصر أبناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى, بل حتى اليوم...

ففى الماضى كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطى..

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة... وكيف أن الملايين من أبناء هذا الشعب كانوا لا يجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية- من جميع الأحزاب والرجالات والزعماء- على إنفاق مليون ونصف المليون من الجنيهات على إصلاح وتزويق مركب يسعد فيها "فاروق" بالسفر والرحلات... لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الأغلبية حينا والأقلية حيناً آخر...

وبعد أيها القارئ.. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟..

وكان "فاروق" الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها بوساطة خادمة الأمين... ولذلك رأينا حكامنا الأفاضل يحنون الجباه لهذا الخادم... بل إن واحداً من أولئك الرجال- وهو "مصطفى النحاس", الذى كانت البلاد تأمل أن يكون على يديه الخلاص فى يوم من الأيام- لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى- فى نظره- بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبل يده- وهو زعيم الأغلبية فى ذلك الوقت- والذى أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزاً ساحقاً... ثم اتبعها بما لا يخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان إلى كابرى- حيث يلهو فاروق- وطلب من المصريين أن يتوجهوا إلى هذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء...

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية... عاصرناها جميعاً وانتهت بهذه البلاد إلى الدرك الذى كاد يودى بكل شئ فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ؟

وفى الماضى القريب بل القريب جداً سمعت وسمع معى الشعب بأكمله محاكمات محكمة الشعب على لسان أقطاب جماعة الإخوان المنحلة..

فقد قاموا يدبرون انقلابا دامياً مسلحاً بالقتل والنسف والخطف, وحين أراد أحدهم أن يبرر هذا العمل قال إنه فى سبيل إقامة الديمقراطية!.. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها

جهاز سرى على رقاب العباد من أبناء البلاد... تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لـصالح رجل واحد– هو المرشد العام المقدس...

وكان أبرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ إليه "محمد نجيب" حين أراد أن يبرر سـبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير عام 1954, فراح يؤكد أنه كان ينادى بالديمقراطيـة ومجلس الثورة بأكمله لا يريد الديمقراطية...

والعجيب أن التفسير أنطلى على كثيرين وأصبح "نجيب" فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم...

وإنى لأذكر جيداً كيف أنه بعد أن عاد "نجيب" فى فبراير عام 1954 وكنا قـد بلونـا طريقته فى أن يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر, ثم يخرج فيشيع فى كل مكان أنه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت, بحيث أخرج الإخوان وقتها أسطورة الأب الشفوق الرحيم وأظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن "نجيب" يوم أن صـدر قرار محكمة الثورة بسجن "فؤاد سراج الدين" بطل من أبطال الوطنية... ثم جاء إلى مجلـس الثورة وكان إمضاؤه على التصديق أول إمضاء تجدونه محفوظاً لدى المحكمة إلى يومنا هذا.

أقول كنا قد بلونا طريقة "نجيب" هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا, وإنما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلـس معنـا الوزراء جميعاً فقد كانت الأحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك.

وأذكر جيداً تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولها يوم أن جاء "سليمان حافظ" إلى "جمال عبد الناصر" بما سـماه طلبـات "محمـد نجيب", وقد كانت تتلخص فيما يأتي:

1. حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع إعطائه الحق فى حضور جلساته.
2. حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع إعطائه الحق فى حضور جلساته.
3. حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة ومـا يماثلهـا مـن بـاقى الوحدات.
4. جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته.

5. على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وأن يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم.
6. ألا يرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحداً لرئاسة الجمهورية غيره, وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية.

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر "محمد نجيب" وعرض "سليمان حافظ" هذه الطلبات على المجتمعين، وتكلمنا أمام الوزراء فى أن هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية "فاروق" "الحاكم الديمقراطى" وأننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الأمر بالبلاد إلى دكتاتورية "محمد نجيب" أو أى شخص خلاف "محمد نجيب".

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر "محمد نجيب" لكى تناقش هذه الأمور معه. فقام "سليمان حافظ" إلى التليفون واتصل "بمحمد نجيب" وأبلغه رغبة المجلس فى أن يحضر, وحضر فعلاً.

وبدأت المناقشة من جديد بحضور "بحضور "محمد نجيب".

وتكلم "جمال عبد الناصر" وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد "محمد نجيب" فرضها واستحالة الموافقة عليها وأنهى كلامه بأن هناك أحد حلين لا ثالث لهما:

الأول: أن يعود "محمد نجيب" إلى رئاسة مجلس الثورة وتسير الأمور كما كانت على شرط أن تنتقى الأسباب التى من أجلها قبل المجلس استقالة "محمد نجيب" فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها "لسليمان حافظ".

الثانى: إذا لم يقبل ذلك "محمد نجيب" فالمجلس لا يقبل بتاتاً هذه الديكتاتورية, ويكون الأصوب بدلاً من أن تجرى انتخابات فوراً وأن تسلم البلاد إلى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد أن حطمناها.

وهنا يجب أن أقف قليلاً...

فقد رفض "محمد نجيب" أن يعود أول الأمر إلى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة أن هذا المجلس مكروه. أيضاً أن يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله "سليمان حافظ"...

أما فيما يختص بالحل الثانى, فقد طلب أن يناقشه قبل أن يبدى رأيه فيه ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال "جمال عبد الناصر": "إن هذا الحل يعنى أننا يجب أن نعلن اليوم إنهاء الأحكام العرفية, وإباحة تشكيل الأحزاب وترك كل شئ كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم".

وهنا استفسر "محمد نجيب" عن وضعه فى هذا الحل فقال له "جمال": سيكون كوضعنا تماماً, فسوف نعتزل الحكم, ومن يريد أن يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر...

وهن ظهرت براعة "نجيب" كبطل من أبطال الديمقراطية.

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل, وطلب مناقشة حل فرعى آخر هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية وأن يشكل وزارة مدنية برئاسته أيضاً إلى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة, ولكن بشروطه التى طلبها وهى أن يكون له حق الفيتو على قراراته.

كان "نجيب" يطلب هذا فى الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه أن موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان.

وهذا تفسير جديد للديمقراطية..

فكل ما كان يعنى "نجيب" هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معاً إلى يوم القيامة, حتى ولو كلفه هذا أن ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلاً من أبطال الديمقراطية فى سبيل الوصول إلى أغراضه...

هذه ألوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة؟...

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية أم حكومة ديكتاتورية أم هى نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟...

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية ؟

حديث الديمقراطية طويل, وهو حديث الناس جميعاً اليوم بلا جدال ولكن كانت هنـــاك إشاعات تستهدف إثبات أمر معين, وهو أن الديمقراطية لها أعداء فى مصر, وأن مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحد...!

الناس جميعاً يطلبون الحرية, ونحن فقط ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها!

"جمال عبد الناصر" وكل واحد من أعضاء المجلس, ليس إلا ديكتاتورا تتلمـــذ علـــى الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة!

أليس هذا هو ما يريده تجار الإشاعات ؟

ويا له من موقف تاريخى عجيب!

إن الحريات وكل مقومات الديمقراطية قد ضاعت من الشعب العربى فـــى مـــصر.. اغتصبها منه "جمال عبد الناصر" ورفاق "جمال عبد الناصر"! كان الشعب حراً فاستعبد..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء "جمال عبـــد الناصر" ورفاقه يوم 23 يوليو المشهود من عام 1952, وفى ذلك اليوم من العام المذكور تـــم تجريد الشعب العربى المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العـــيش واستقرار الحال!

كانت فى مصر قبل 23 يوليو ديمقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيداً حراً, ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة, ويجد الملايين من أبنائه فرصاً متساوية, وكانوا جميعاً ينعمون فى ديارهم بتلك الديمقراطية, ثم جاء 23 يوليو فكان يوماً مشئوماً فقد فيه الشعب كل شئ!

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق... لأن الديمقراطية ذهبت وجـــاءت الديكتاتورية.. جاء الطغيان والاستبداد.. والحكم المطلق!

أليس هذا هو ما يريده تجار الإشاعات من تصوير للموقف ؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت..

ولكن لماذا نظلم التاريخ, والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما أن الذين يحكمون البلاد الآن لا يبيحون لهم ما كان يبيحه النظام الذى سقط.

نحن إذن أعداء للديمقراطية, كما هو واضح من كلام هؤلاء, ومعنى هذا أن الشعب العربى فى مصر لن يحكم حكماً ديمقراطياً, فإذا رفض فهو يناصب الديمقراطية العداء, ويريد أن يبطش بالشعب.

وجميل جداً أن يطالب أناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديمقراطية فهى حقوق مشروعة, يكافح الإنسان من أجلها, ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها.

لكن ما رأيكم يا طلاب الديمقراطية فى مصر.. ويا أبطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب العربى المصرى الذى جرده "جمال عبد الناصر" ورفاقه من كل الحقوق يوم 23 يوليو عام 1952, أقول ما رأيكم- دام فضلكم- فى أن الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست الحكومة بالمعنى المتعارف عليه.. بل هى ثورة!

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه: أن قيادة الثورة ليس لها وجود لأنها- أى القيادة- من المحتم عليها أن تحقق- هى- للشعب ما يطلبها بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى... لأنها ثورة كما قلت ليست حكومة!

ثورة لأنها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على أمر من "ولى الأمر" كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائماً!

بل تولت- هى- الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره.. قد فعلت!

ليس "جمال عبد الناصر" ورفاقه أعضاء حزب من الأحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا.

إن "جمال عبد الناصر" ورفاقه ليسوا حكاماً... بل قادة لثورة... والفرق كبير بين الثوار والحكام!

والثورة لها أهداف حققت بعضها... وباقى الأهداف سيتحقق قطعاً على مر الأيام... طالما أن الثوار يتولون زمام الأمور أقول الحكم.. بل إنى أعلنها أكثر صراحة أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه يمكن أن يقبلوا أى شئ ما عدا شيئاً واحداً.. وذلك الشىء هو إنهاء الثورة... قبل أن تتحقق كل أهدافها!

ولا أريد أن أكرر وأعيد فأتحدث عن أهداف الثورة... فقد تحدثنا عنها كثيراً جداً.. فلم تعد خافية على أحد!

ومن بين تلك الأهداف.. بل هدف الثورة الأخير وأملها الضخم هو إرساء أسس النظام الديمقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه وإذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديمقراطية ؟

وأقول إن الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن, الثورة تفسر الديمقراطية بالكفاح العملى من أجلها.

فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن, وترسى قواعد النظام الجمهورى... فتلك خطوة نحو الديمقراطية كان الشعب حتماً سيخطوها لو لم تقم الثورة فى 23 يوليو... وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن, ولكن القائد المعلم "جمال عبد الناصر" ورفاقه حقنوا تلك الدماء... باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام... سلمياً... أو بالقوة إن كان الأمر استدعى قوة!

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستعمار... ففى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديمقراطية يخطوها الشعب, وقد كان الشعب سيخطوها حتماً ذات يوم.. وكان سيضحى بالآلاف من أبنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت... لكن القائد "جمال عبد الناصر" ورفاقه وفروا على الشعب أرواح شبابه وأطفاله ونسائه وشيوخه... وتم جلاء القوات المحتلة- سلمياً- تماماً مثلما تم جلاء "فاروق" بنفس الطريقة.

بنفس الأسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى أى مكان من العالم أن اتبعته فى نضالها... إذ أن ثورة مصر العربية ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها.. والشعب أيضاً وقف معها!

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى والإقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم وقضت عليه- سلمياً- بلا دم, كان سيسيل فى القرى إذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الإقطاع فى عقر داره!

والثورة تفسر الديمقراطية بالوقوف فى وجه الأرستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والأساتذة والسماسرة.. وحالت الثورة- نهائياً- بين هؤلاء وبين الشعب! والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على التعصب وحكم السمع والطاعة.. أى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين لا باسم أى شئ آخر.

وقد حدث.. وتمت الخطوة الكبرى فى سبيل الديمقراطية

تلك خطوة الثورة التى فسرت بها الديمقراطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام الديمقراطى ؟!

لسنا شيوعيين:

تحدثت عن تفسير "الثورة" للديمقراطية وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب.

وقلت: إن "جمال عبد الناصر" ورفاقه ليسوا حزباً من الأحزاب التى تولت- أخيراً- الحكم، ثم أصبح لزاماً عليهم أن يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ما قبل 23 يوليو.

قلت: إن "جمال عبد الناصر" ورفاقه وليسوا حكاما.

أى أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه- مادام هذا وضعهم- يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالأوضاع التى يجب أن تسود البلاد ولا أعنى أنه ليس من حق أحد أن يطالبهم بشىء معين, لا بل أعنى أن مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه أمام واقع لا مفر منه, وهو الاستمرار فى قيادة "الثورة" التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية "قلب نظام الحكم القديم" واقتلاع جذوره من أرض البلاد... مسألة أصبحت ضرورة تاريخية لا يمكن الخلاص منها لا بمنشور يحوى سباباً فى الثورة ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين.

وسأناقش هنا بهدوء تام, وبصراحة تامة أيضاً مسألة عودة الحياة النيابية والدستورية والحريات... الخ.

سأناقش موضوع الديمقراطية التى يزعم أبناء العهد الماضى وخدامه أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه اغتصبوها من الشعب العربى المصرى يوم 23 يوليو عام 1952.

ولعل هذا التعريف يعجب بعض الناس الذين يتهموننا بالفاشية...

وأعود من حيث بدأت, فأقول إننا لسنا شيوعيين, بل لم نعرف ما هى معتقدات أتباع "ماركس" و "لينين" و "ستالين" بالتحديد. بالرغم من هذا فإنى أنقل هنا كلاماً قاله أحد القادة الشيوعيين, وذلك القائد يتزعم بلاداً تزيد مساحتها على مساحة أوربا مجتمعة... أعنى الصين عملاق أسيا الجبار...

وفى الصين قامت ثورة.. فكيف نجحت ؟!

هل لأن الذين قادوها من أتباع "ماركس" و "لينين" و "ستالين", أم لأنهم كانوا صينين أولا وأخرا ؟

الرأى الأخير هو الصحيح... بدليل أن "ماوتسى تونج" نفسه عندما أراد أن ينادى بمبادئ معينة لم يجد سوى مبادئ الزعيم الوطنى الصينى الكبير "صن يات صن"... ولم يحدث أبداً فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف أفراد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هناك, وطالبوهم ببرلمان أو بدستور أو بحريات.

كانت كل الجماهير تتجه أولا وأخرا إلى اقتلاع جذور النظام القديم الذى حكمت به الصين آلاف السنين, ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية.

قال "ماوتسى تونج" وهو يوضح موقفه أمام الشعب الصينى:

"إن المجتمع الصينى الحالى مازال مستعمراً وشبه مستعمر وشبه إقطاعى, وأن الأعداء الأساسيين للثورة الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الإقطاعية...

وبما أن واجبات الثورة الصينية هى أن تحقق الثورة الوطنية والثورة الديمقراطية للقضاء على هذين العدوين, وبما أن القوى اللازمة لهذا العمل تلقى أحياناً مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة... ومع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها, إلا أن الثورة يجب ألا توجه ضد الرأسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية, وإنما ضد الاستعمار والاحتكار الإقطاعى, ونتيجة لهذا نجد أن طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البوليتارية, وإنما الديمقراطية البورجوازية... وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين, وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة, ويجب على الصين, ولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها, وإذا لم نصل إلى تحطيم الأحكام الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار... وإذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف

الوطنى والدولى, ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة, فإن الشعب الصينى سيصل نهائيا إلى النصر...

"إن وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى, لكن ذلك البؤس إذا كان يمثل القوى الباقية للظالمين فهو يمثل أيضاً إجرامهم الأخير, ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئاً, تلك هى الحالة فى الشرق... تلك هلى الحالة فى العالم".

أنتهى كلام "ماوتسى تونج"...

وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام, فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية...

وثورة الصين قامت بالدم... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة, ومات مئات الألوف من شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله.

كانت الدماء فى الصين تجرى كالأنهار فى السهول وفى القرى وحول المدن... وكان لابد أن يحدث هذا لكى تمضى الثورة الصينية فى طريقها المعلوم..

لأن القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات.

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد.. وتولى قيادتها مجموعة من ضباط الجيش.. فحقنت الدماء.. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم... وتولى "جمال عبد الناصر" رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيساً لحزب مصرى معين أو باعتباره رجلاً من رجالات السياسة... بل باعتباره قائداً للثورة العربية فى مصر التى قامت فعلاً فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر, كما حدث فى الصين ومن أجل هذا يخطئ الذين يطالبون "جمال عبد الناصر" ورفاقه بانتخابات أو بأى شئ... "فجمال" ورفاقه يمثلون الثورة العربية المصرية وليس الحكومة المصرية... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية.

ولكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة... وفى قيادتها... ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والإقطاعية والرجعية, وفى مصر كانت الثورة "سلمية" بيضاء... لأنها كانت مؤيدة بوقوف القوات العربية المصرية المسلحة معها... فإذا قررت

الثورة العربية المصرية تحقيق هدف من أهدافها حددته فى الحال, وعملت من أجله... فإذا لم يتحقق الهدف سلمياً, كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب!

وهكذا مضت الثورة العربية المصرية فى طريقها المحتوم.. فإذا وقف فى طريقها فرد أو جماعة وطالبوها- باعتبارها حكومة- بشىء ما... كان الوضع غريباً وشاذاً ويستحيل قبوله أو التسليم به... لأن قيادة الثورة هى التى تحدد ما تراه متفقاً مع مصالح الشعب لا مصالح أعدائه!

ولنتصور- مثلاً- "تشابنج كاء شيك" يقف أثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ...

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟!

هل يفسر بأنه موقف وطنى من "تشانج كاى شيك" ضد قوى الفاشية والديكتاتورية.. أم يفسر بأنه محاولة من "تشانج كاى شيك" لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟!

وبالرغم من أننا لسنا شيوعيين, فالموقف واحد فى الحالتين, موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة والرجعيين فى البلاد, الذين يريدون تصفية الثورة العربية المصرية بإجراء انتخابات فى الحال, وبدستور فى الحال, وبحريات فى الحال.. لكى يعودوا إلى أماكنهم.

وتلك الأماكن أبعدتهم "الثورة" عنها فكيف إذن تعيدهم مرة ثانية!؟

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة, والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت إلا من أجل القضاء على تلك الأوضاع!؟

وقد أوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديمقراطية, فقلت أن الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها.. تفسرها بالقضاء على الحكام الأغراب عن هذا الشعب والأرستقراطية المصرية الممثلة فى الباشوات والبكوات والأساتذة السماسرة, وتفسرها بإقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم, وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الإخوان المسلمين, وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد... لأنهم أغلبية الشعب!

ثم أخيرا تفسرها بإعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية.

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها "العلمية" للديمقراطية ستقرر فى الحال أن يحكم الشعب نفسه بنفسه لا "بالهضيبى" ولا "وبالبدراوى" ولا "بالنحاس" ولا "بسراج الدين".. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى تراث ما قبل 23 يوليو.

هذا هو تفسير الثورة للديمقراطية...

أما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديمقراطية فهو فى جملة واحدة العودة إلى الحكم!

تلك هى الديمقراطية فى رأيهم... العودة إلى الحكم أو يظل "جمال عبد الناصر" ورفاقه تلامذة للفاشين!

فكيف إذن يظهر "جمال عبد الناصر" ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين, وفى نفس الوقت يعمل "جمال" ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق!؟

حكم القصر و "البدراوى" و "سراج الدين" والمشعوذين حفظة سورة آل عمران ؟!

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشياً يستمد أفكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة, وأصبح "محمود أبو الفتح" تاجر الرأى والسيارات بطلاً شعبياً تماماً مثلما أصبح "حسن الهضيبى"!؟

هذا هو موضوع الفصل التالى.

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة وأصبح تجار الرأى والدين والوطنية أبطالاً للديمقراطية ؟!

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الأوضاع هكذا ؟!

وأين كان هؤلاء الأبطال قبل 23 يوليو؟

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان؟!

www.anwarsadat.org

أين كان "محمود أبو الفتح", و"حسن الهضيبى", و"سراج الدين" و"النحاس" وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد 23 يوليو رمزاً للديمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه "فاروق" ؟!

لماذا لم يفعل "محمود أبو الفتح" مثلما يفعل الآن فى ربوع أوربا.. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والإقطاع والباشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد "حسن الهضيبى" جهازاً سرياً مسلحا ينسف به قصر عابدين ورياسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه؟!

لماذا لم يترك "سراج الدين" سيجاره الضخم لحظة, ليصرخ فى الناس: قوموا لتحرروا مصر من هذا الإخطبوط الرهيب الذى يبطش بمصائركم ولماذا... ولماذا ؟!

لا توجد إلا إجابة واحدة على كل هذه الأسئلة... وهى أن حكم أسرة "محمد على" والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هؤلاء الساسة وأذنابهم وأعوانهم وخدامهم...

أما اليوم فهم فى محنة... ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم, وبطشت بمستقبلهم, وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب!

واليوم هم أبطال الديمقراطية, ونحن أعداء لها!

فكيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى أقول إنى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة, وسأحاول ضبط أعصابى وأنا أسجل الحقائق.. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة إلى من يذكره بها.. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات, أقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين, لا حكومة الثورة, ونترك أذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد... نحن أبعد ما نكون عن هذه الصفة, فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام... بل هو الشعب, ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى 23 يوليو, وعزلت ملك البلاد, سيد كل أبطال الديمقراطية المزيفة, وولى نعمتهم, وصانع مجدهم!

"سيد حسن الهضيبى" الديمقراطى الحر, و"سراج الدين" الدستورى العريق, و"محمـــود أبو الفتح" البطل الشعبى الباسل.

وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد للحرية وللديمقراطية والدستور!...

أى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة.. وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد إذا ما سلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى وأصغينا إلى هذيان أفراده!.

أقول: كيف حدث هذا ؟.. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق ؟!..

إذن اسمعوا...

مرة أخرى أعود إلى الصين...

إلى حيث قامت ثورة, وتغير نظام.. وأقيم حكم جديد

وأحب أن أقول إننى اخترت الصين بالذات, لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا... مستعمرة, فيها حكام خونة وإقطاع واحتكار.. وذلك حفاة وعراة وجياع..

وعلى الرغم من أن الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا إلا أنهم– أى ثوار الصين– لم يصنعوا أكثر مما صنعنا... حتى الآن.. فزعيمهم يقول:

"إن الإصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطيـــة الجديـــدة للـــصين" والإصلاح الزراعى فى الصين قضى على الإقطاع, ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر...

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم: أنتم طغاة... أنتم تريدون ديكتاتورية كانت ثورة الصين من يقول تبطش بأعدائها دوماً... وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالـــدم والبـــارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها... فالشعب معها, والشعب شـــعر أنهـــا قامـــت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة!

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والإقطـــاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعـــه... ولكـــن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفاً لوضع قادة الثورة فى الصين, فكان علينـــا

نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة أن نتجاهل ما يقال عنا, وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا كنا نعتمد على الوقت... فالأيام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا... لا المعارك.

وأعود إلى الصين فأقول إنه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين إلا أن قادتها وجدوا من يقول عنهم إنهم طغاة ويريدون ديكتاتورية, إن الخبرة التى تكونت للشعب الصينى خلال عشرات السنين, تبين لنا ضرورة إقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير عن آرائهم, فالشعب وحده له حق التعبير, وحق التصويت, فمن هو هذا الشعب؟!

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفرحين, والبورجوازية الصغيرة, والبورجوازية الوطنية, وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل إقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار, ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه, فلا يسمح لهم بالتصرف إلا فى داخل حدود معينة, فإذا تجاوزوا تلك الحدود بالأقوال أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال, فلابد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب, فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم, ولا يعطى حق التصويت إلا للشعب دون الرجعيين... فالديمقراطية للشعب والديكتاتورية على الرجعيين. وإذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب وتفنى الدولة".

هذا ما حدث فى الصين...

والذى حدث فى مصر بعد 23 يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحاً يحمى الشعب من الرجعيين... وكان أول إجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد 23 يوليو هو عزل الحاكم "فاروق" فإذا كان طرد "فاروق" ديكتاتورية فليكن... ونحن نفخر بها.

ثم كان أن قرر مجلس الثورة إسقاط النظام الملكى وإقامة النظام الجمهورى فإذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما أعظمه وما أتعس الديمقراطية إذا لم تقف إلى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام.

وإذا كان القضاء على الإقطاع ديكتاتورية فما هى الديمقراطية إذن؟ قولوا لنا يا فلاسفة العصر ويا حكام الزمان!

إن الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها... كان لابد أن تحقق للشعب حاجاته, لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية, ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها- وهى بيضاء وليست دموية- إلا إذا أخلى الطريق أمامها من كل الأعداء..

فكيف يمكن إبعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟!

هل ببرلمان "سراج الدين" أو بدستور أحزاب الإقطاع أم بحرية الصحافة... صحافة "أبو الفتح" والأحرار الدستوريين وبقية الأذناب؟!

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الأعداء... كما حدث فى الصين؟!

أعداء الثورة

تساءلت فى حديثى عن الطريقة التى كان يمكن بها إبعاد الأعداء عن طريق الثورة!

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع "البدراوى" بالنسبة للشعب, وكيف يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين؟!

فإذا وقفنا لحظة عند كل هذه الأسئلة عرفنا أن القائد المعلم "جمال عبد الناصر" ورفاقه كان عليهم بعد طرد "فاروق" أن يبقوا على دستور علام 1923, وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الإقطاعى ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الذين يمثلون الأرستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها... وكان علينا أن نترك الأحزاب كلها بما فيها حزب "عبد الهادى" و "حسن الهضيبى", وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الأصل العريق جداً... "الأحرار الدستوريين"..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو إلى ما تشاء... ثم ماذا بقى بعد ذلك؟!

بقى أن نعود إلى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الأشخاص الذين حكموها قبل 23 يوليو...

أى أن ثورة الشعب العربى المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة إلى "النحاس" و "سراج الدين" و "الهضيبى" و "إبراهيم عبد الهادى" وكل آفاق دعى يريد أن يصبح زعيماً بخطبه أو بوعد معسول!

أى أن "جمال عبد الناصر" ورفاقه, وكل ضابط وكل جندى من الأحرار هؤلاء جميعاً ما قاموا بثورة 23 يوليو عام 1952, إلا من أجل "النحاس" و "الهضيبى" و "عبد الهادى" و"هيكل" وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلاً من قبل ولم يصنعوا ثورة, ولم يرفعوا عن الشعب ظلماً اجتماعياً ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضاً من الشفاء!؟

أى منطق هذا ؟

وفيما إذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها "جمال عبد الناصر" ورفاقه ومئات من الأحرار فى الجيش طوال أعوام قياسية مليئة بالأحداث والمفاجآت؟.. هل كانوا يعيدون كل هذه الأعمال التاريخية الثورية لكى يحكم "النحاس" و "سراج الدين" و "هيكل" و "عبد الهادى".. وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم؟!

هذا.. إذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شئ كما هو بعد طرد "فاروق" يبقى "البدراوى" فى درين يشرب دم الألوف من المواطنين.. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب.

ويبقى "سراج الدين" يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه ويبقى الأمراء والأميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر, ويبقى ويبقى... يبقى كل شئ ما عدا "فاروق".. فهل هذه هى الديمقراطية؟

وهل هذا ما كان يريده الشعب؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات, ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود؟!

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد, وإنفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات إلى أوربا, وفى إصلاح اليخوت والقصور وإعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصابة من الأفاقين العاطلين؟!

ثم.. هل كان "النحاس" و "سراج الدين" و "عبد الهادى" و "هيكل" وباقى القطيع السياسى بدستوره وببرلمانه, والذى كن سنتركه يحكم بعد طرد "فاروق".. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية, وإعلان الجمهورية وإلغاء الألقاب ورفع مستوى الفلاح والعامل, وإعداد العدة لكفاح الاستعمار, ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية؟!

وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب "سيد" لا "باشا" أو "بك" أو صاحب رفعة ودولة؟!

وهل كان "محمد نجيب" إذا فرضنا أنه سيكون معهم باعتباره ديمقراطياً.. أقول هل كان "محمد نجيب" قادراً على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدينة؟

وماذا أيضاً!

هل كان يمكن– لو فرضنا إننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد 23 يوليو– أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكاً لهم بأرضها وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر هذا الكلام, ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها...

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم.!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن عيشاً رغداً وأشهراً ناعمة فى أوربا وثياباً من باريس وقصراً فى الخلاء.. وكلاباً تأكل أطيب أرزاق البشر.!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة, ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون, ومن كل أرملة تريد عملاً لوحيدها.

ومن العامل والفلاح, وحتى من أبناء السبيل!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم إذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين, وسيطرة الأفاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين!

ثم ما هى حرية الصحافة فى رأيهم إذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات التآمر مع المستعمر.. والتحدث باسم الإقطاع والمشعوذين.!

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون بها الخدود ويشقون الجيوب كمداً عليها!

وأعود إلى السؤال السابق, فأقول إنه كان لا يمكن للثورة العربية المصرية أن تمضى فى طريقها إذا اكتفت بخلع "فاروق"... ثم تركت الأمور كما هى بعد ذلك.

لو كان قد حدث هذا, وترك "جمال عبد الناصر" ورفاقه الأمور بعد طرد "فاروق" كان حتماً أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية.. إلا إذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أ، العدالة الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيدى الباشوات و "الهضيبى" و "عبد العزيز البدراوى".!

وفى هذه الحالة.. أكان من مصلحة الشعب أن يبقى "جمال عبد الناصر" ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة, ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حدودها من تلقاء أنفسهم.. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الأهداف الشعبية لتتحقق أهداف "سراج الدين" و "الهضيبى" وباقى القطيع؟!

وقد بقى "جمال" ورفاقه فى أماكنهم.. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئاً فشيئاً.. ومضوا يعملون أناء الليل وأطراف النهار.. فى الصيف وفى الشتاء.. فى البرد وفى القيظ.. يواجهون الأحداث ويعدون المستقبل للشعب ولكى لا يعطلهم الأعداء وقطيع عهد أسرة "محمد على", اتخذوا موقفاً حازماً حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذنابهم.. وكان لابد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصادر حتى لا تزحف الأفاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر, وعندهم حق, فنحن ضباط وعساكر فعلا, لكن لسنا ساسة من نوعهم, ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب, ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه!

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم, وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك, وبلا بارود ينسف المدن والقرى, وبلا مجازر فى الشوارع والميادين!

وقد مضينا فى الطريق, وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالأعداء.. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة, يريد وقف تطور الشعب, يريد أن يبقى كعدو إلى الأبد.. يعيش هو ولتمت الألوف تحت أقدامه!

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا!

هل إذا وقف "أبو الفتوح", ومصالحه مرتبطة بمصالح "سراج الدين" وباقى القطيع, واتهمنا بأننا كذا وكذا.. هل نتركه يواصل نشاطه الإجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية ؟!

وهل إذا حوكم جواسيس الإنجليز أمام محكمة الثورة, وصدر الحكم بإعدام شيخهم "كنج صبرى".. وإذا ألقينا بالمدعو "كريم ثابت" فى الليمان.. نصبح ضد الديمقراطية ؟!

وهل إذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع "فؤاد سراج الدين" من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيداً عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية.

وهل إذا تركنا تجار الدين يقتلون "جمال عبد الناصر", ومئات غيره, وتركنا "الهضيبى" ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين. هل إذا كن سمحنا بهذا, نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور؟!

إن طريق الثورة كان مليئاً بالأعداد.. وكان لابد من إبعادهم عنه, ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه.. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الأعداء عن الطريق بقانون الثورة.. بالحزم والصمود وبالإصرار على أهدافنا.

فضلنا هذا على المذابح والمجازر, فهل لأننا نريد حقن الدماء.. نعمل ضد الديمقراطية!

وماذا لو كان اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك "بفاروق" وبأسرته, بدلا من إسقاطه بإنذار وطرده بكلمة.. وتركنا الشعب يهاجم الإقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رؤوسهم ويأخذ الأرض التى من حقه.. لو كنا تركنا الشعب يحطم رؤوس الباشوات والباكوات وأبناء الأرستقراطية المصرية العفنة, بدلا من إلغاء ألقابهم ووقف نشاطهم..

هل لو كنا فعلنا كل هذا, نصبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور؟!

الثورة وطريق الدم:

انتهى حديثى عند نقطة هامة للغاية, بالنسبة لتاريخ هذه الثورة.. ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين, ونصبح أيضاً مع الدستور؟

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم 23 يوليو ضد كل الذين أراد الشعب الخلاص منهم, الملك, والاستعمار, والباشوات, والبكوات, وملاك أرض الشعب؟

وهل كنا حقا قادرين على إبادة كل هؤلاء الأعداء فى معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب؟

لقد كان أمرا واقعيا أن تبيد الثورة كل أعداء الشعب وإلا كانت مهزلة لا ثورة.

إن التاريخ يقول لنا إن كل ثورة فى أى بلد من بلاد العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان- الشعب وأعداء الشعب- مئات وألوفا بل وملايين من الضحايا.

ولكن- كما سبق أن قلت فى أحاديثى السابقة- الفرق بين الثورة العربية التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الأخرى هو أن قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة.. أى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب فالجيش كانت قيادته خاضعة للشعب على الإطلاق, لكنها أصبحت فعلا خاضعة للشعب فى صباح 23 يوليو ووجد أعداء الشعب أن القوات التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم, بل واتجهت إلى إبعادهم عن طريق الشعب...

وفوجئ العالم بثورة مصر تتبع أسلوباً جديداً فى القضاء على أعدائها لم تسبقها إليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم.. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن إمكانياته.

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة العربية المصرية, وأعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة... فالنتيجة معروفة. وكان عليهم أن يستسلموا.

كان عليهم- جميعاً- أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للأمر الواقع, لإرادة الثورة.. وقد كان! لكن لأنهم لم يبادروا ويفنوا فى مجزرة, ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس, خيل إليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات, مادامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام القوات المسلحة.

وعندما تفشل تلك المؤامرات, وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها.. عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة, يقال عن قادتها إنهم يريدون ديكتاتورية كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب, وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات, وترك "الهضيبى" يلقن السذج سورة آل عمران وأحداث وسائل النسف والذبح.

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس "محمود أبو الفتح" فى مكتبه فى إحدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه.. وهو حليف الإقطاع والزعامات التى تعفنت.

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف "جمال عبد الناصر" عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات مصر وبكواتها: تفضلوا وأحكموا من جديد.

وعندما تضرب الثورة على أيدى الشيوعيين لأنهم تآمروا أيضاً على الثورة مع الإقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل الأعداء. يقال عن الثورة إنها لا تؤمن بالديمقراطية, ويقول عنها الشيوعيون إنها حكومة الفاشيين والسفاحين.

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية؟

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة؟

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا؟

إن البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل "الهضيبى" هو الشعب, وهل "سراج الدين" هو الشعب؟

وهل الجاسوس "كنج صبرى" هو الشعب, وهل "كريم ثابت" هو الشعب, و"محمود أبو الفتح", و"عدلى لملوم", و"حافظ عفيفى" و"عبد الهادى", وعملاء إسرائيل, وعملاء كل الجهات الأجنبية.. هل كان كل هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب؟.

وهل من أجل موقف الثورة هذا تحمى به نفسها– وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم– يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة؟

وأعود إلى موضوع الدم من جديد فأقول إن الثورة لو كانت بدأت فى فجر 23 يوليو بمذبحة ضد القصر والإقطاع والاستعمار وعملاء الدول الأجنبية والباشوات والسماسرة ثم

انتهت بانتصار شامل عليهم, ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره, أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات, لو حدث هذا لأصبحت فى هذه الحالة فقط... وفى هذه الحالة وحدها, قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب.

ولكن للأسف الشديد- وأقولها بمرارة- لم يحدث أن قامت تلك المجازر بعد 23 يوليو.

لم تفرش دماء أعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد إبادتها بالسلاح أن يطمئن قادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية, فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال, وتعاد كل الحريات فى الحال, بعد أن خلت مص من الأعداء.

لكن.. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طريق أخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجاه فى هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة.

لا- وأقولها بملء فمى- فنحن كنا على استعداد لكل احتمال كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية, وفى قصور الباشوات, والساسة الخونة والرجعيين, وفى قرى الإقطاع وفى القنال.

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء أنفسنا أو بحكم الأمر الواقع, وكان النصر سيحالفنا, فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الإذاعة اللاسلكية فى صباح 23 يوليو.

لكن بالرغم من إيماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الأعداء, إلا أننا كنا نضع فى حسابنا دائماً مسألة الخسائر.

فماذا كان الشعب سيخسر لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والإقطاع وباقى الأعداء؟

ألم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن أيضاً؟

ألم يكن محتملا أن يموت الألوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب؟

ألم يكن محتملا أن تتحول أرضنا الخضراء الهادئة إلى ساحة حـــرب يحتـــرق فيهـــا الأخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها؟

وكما قلت, كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن أو قصر... لكن بعد النصر هل كان من الممكن إعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب؟

وإذا كان هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الـــدمار والمـــوت والفناء.. وإذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب...

إذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح فى إسقاط النظام الملكى بـــلا دم وأعلن الجمهورية بلا دم, وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم وقـــاد معركـــة الثـــورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من على ظهر الأرض مدينة مصرية واحدة بما فيها مـــن ناس ومال وحياة...

أقول إذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصار فى ثورة الشعب, أيعـــد هـــذا العمل التاريخى المجيد ضد... الديمقراطية... وأية ديمقراطية؟

إن الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن أن يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلاً واحداً على اتهامهم لنا, وعلى تجنيهم علينا.. بل الذين أصيبوا بالسوء هو أعداء الـــشعب.. هـــم "كـــنج صبرى" و"كريم ثابت", و"البدراوى" و"سراج الدين", و"إبراهيم عبـــد الهـــادى", و"الهـــضيبى" وعصابته الناسفة, وعملاء إسرائيل, وعملاء الدول الأجنبية على اختلافها.

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس قيادة الثورة بالديكتاتورية

وإنى أقول لهم مثلما قال "ماوتسى تونج" لأعداء ثورة الصين:

"نعم يا حضرات السادة, إننا نقيم ديكتاتورية... لكن على أعوان الاستعمار والإقطاع".